

الحب... والأنفس الثلاثة في "لا قصة حب للجدار العازل" للكاتبة: د. سناء الشعلان

بقلم: د. شوكت علي درويش*

تمتاز القصة القصيرة جداً من غيرها بكلماتها المعدودة، وسطورها المحدودة، لتسلط الضوء على مشكلة مجتمعية، أو غرس قيمة محببة، أو قضية فنية...، وتركز على شخصية واحدة، لتصل إلى هدفها المنشود. والكاتب(الكاتبة) لا بد أن يعي أهمية دور المتلقي(القارئ/ الناقد)، وأن يتطلع إلى أن يكون شريكاً فاعلاً، يأخذ ويعطي، وكل حسب ثقافته وتفاعله مع النص.

اللغة: بدأت الكاتبة د. سناء شعلان عنوان قصتها بـ "لا" النافية للجنس، وجاءت باسم "لا" مضافاً إلى نكرة (١). وإذا كان المضاف نكرة، وأضيف إلى نكرة، فإنه يكتسب منها - مع بقائها على حالها- "تخصيصاً" يجعله من ناحية التعيين والتحديد في درجة بين المعرفة والنكرة، فلا يرقى إلى تعيين مدلوله إلى درجة المعرفة الخالصة الخالية من الإبهام والشبوح، ولا ينزل في الإبهام والشبوح إلى درجة النكرة المحضة الخالية من كل تعيين وتحديد (٢).
فقد مازتها الكاتبة من: "قصة مروءة"، و"قصة تعذيب"، و"قصة بطولتة"...، فأنحصر الأمر في نوع من أنواع القصص أكسبه "التخصيص".
كما وظفت الاستعارة المكنية "... في أن قلمه يكتب ما يشاء وعلى هواه..."
توظيفاً معبراً، قلب معايير الشخصية، وجعلها تنتقل من حال إلى حال.

* الجامعة الأردنية، الأردن.

^١ - معنى الإضافة: نسبة الثاني للأول، التحفة السنية، ص ٣٠٠

^٢ - النحو الوالفي: ج ٣، ص ٢٣

لم اختارت الكاتبة "قصة حب"؟ ألتضعنا أمام لوحة نفسية؟ أم لإيمانها بقيمة الحب؟ قيمة يجب ترسيخها في النفوس؟
فالكل يحب أن يحب وأن يُحَبَّ، فالحب عاطفة فطرية، جُبلت النفوس على السعي وراءها، والارتقاء في أحضانها، والتلفع بعباءتها، لينام مطمئناً، مرتاح البال. فقيمة الحب قيمة سامية يجب زرعها في النفوس، لتنمو القيم الأخرى وتسمو.

الشخصية: شخصية الصحفي الشخصية الرئيسية يهودي صحفي مشهور، وله إنجازاته القصصية ومقالاته الرصينة الجريئة، أغرته السلطة الصهيونية بمال وفير جداً، وبخاصة في أمر يقف العالم ضده، وهو بناء الجدار العازل، وجاء ومعه حبيب نفسه؛ وحبيب الأنفس البشرية: (**وُحْبُونُ الْمَالِ حُباً جَمّاً**) [الفجر ٨٩: ٢٠] المال، والمال، والمال، "ليكتب عنه - الجدار - المقالات والقصص الداعمة لكل من يرى وجوده في هذا المكان عدلاً وضرورة لحماية اليهود الغاصبين في أراضيهم المسلوقة من الفلسطينيين" (٣) غير مبال بالحقيقة والعدل.

الشخصية الثانية: قلمه - استعارة مكنية - كما أسلفت، شخصية صدامية، متمردة على صاحبها، يكتب ما يشاء على هواه، دون الانصياع له (٤).

حاول الصحفي - الشخصية الرئيسية - أن يكتب قصة حب واحدة في ظل هذا الجدار، فعجز عن ذلك (٥)، أهو من كتّاب قصص الحب؟ أهو ممن اشتهر في مقالاته بالدعوة إلى الحب والألفة؟ أصدمة الحقيقة؟ حقيقة الشخصية الثالثة - الفلسطينيين ومعاناتهم وما جرّ هذا الجدار عليهم من بؤس وشقاء -

٣ - سناء شعلان، حدث ذات جدار، ص ٧٢

٤ - نفسه: ص ٧٣.

٥ - نفسه: ص ٧٣.

"فكتب مئة قصّة حزن بسبب هذا الجدار" (١) لقد وعى، وأيقظه قلمه - الشخصية الثانية- ليوقظ في عقله ووعيه نفسه اللوامّة، ليسارع إلى النفس المطمئنة "مرّق أمر الدّفْع "الشّيْكَ" ذا الأصفار الكثيرة، وشرع يعيش قصّته الأولى مع الحقيقة". وسار على درب من سبقه من الأجانب الذين يقفون إلى جانب الشخصية الثالثة - الفلسطينيين- ينصرونهم قولاً وفعلاً، ويشاركونهم في مظاهراتهم المستمرة ضدّ هذا الجدار، لتزف وسائل الإعلام العالميّة مزينة الحفل بصوره "تحت عنوان: صحفيّ أمريكيّ يقضي نحبه برصاص قوات الاحتلال الصهيوني".

شخصيّة الصحفيّ شخصيّة نامية، راعت الكاتبة تحولات النفس البشريّة من النفس الأمّارة إلى النفس اللوامّة إلى النفس المطمئنة، وجعلت مفتاح التحوّل استعارة مكنيّة مما أضفى على القصّة متعة التشويق، مع نهاية قمتّه في التحوّل والانتقال من القناعة إلى العمل المشرفّ ليقابل بأقصى عدااء وأقساه على النفس البشريّة.

حبذا لو أضافت الكاتبة - من أصل يهوديّ- ليصبح العنوان: "صحفيّ أمريكيّ- من أصل يهوديّ- يقضي نحبه برصاص قوات الاحتلال الصهيوني" ليعرف العالم أنّ العدو الصهيونيّ يتنكّر لمن يقف مع الحقّ حتى ولو كان من أبناء جلدتهم.

المصادر والمراجع:

١- حسن؛ عباس، النّحو الواليفي، دار المعارف، مصر، ط٤، دت

٢- شعلان، د.سناء، حدث ذات جدار، مجموعة قصصية، أمواج للنشر

والتوزيع، عمان، الأردن، ط١؛ ٢٠١٦

٣- عبد الحميد، محمد محيي الدين، التحفة السنّية بشرح المقدمة

الأجرومية، تحقيق د. شوكت علي درويش، مكتبة الرشد ناشرون، ط

٢؛ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م

